ترجمة كلمة

سعادة الأستاذ الدكتور السير

ريـتشـارد دول

الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية

للطب (بالاشتراك) لعام 1425هـ/2005م

الأحد 1426/3/1هـ الموافق 2005/4/10م

صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء
وزير الدفاع والطيران والمفتش العام
أصحاب السمو الأمراء
أصحاب الفضيلة والمعالي والسعادة

ينتابني شعور مهيب وأنا أقف أمامكم لتسلم هذه الجائزة المرموقة: جائزة الملك فيصل العالميـة في الطب. في بداية عملي البحثي الطبي كنت مثل أي شاب يعمل في ذلك المجال آمل أن أكتشف حقيقة ما تضاف إلى المعرفة بكيفية نشوء الأمراض أو الوقاية منها. وقد ساعدني الحظ أكثر من مرة في تحقيق ذلك. فقد تبين أولاً أن المشكلات التي أخترت دراستها قابلة للحل بما كان متوفراً لدي من أدوات، كما توفرت لي ميزة ثانية وهي العمل مع زملاء ذوي قدرات متميزة جداً. وبما توفر لدينا من إمكانيات تَمكّنّا، الأستاذ الدكتور برادفورد هيل وأنا، من بيان أن التدخين هو السبب الأساسي وراء الزيادة الكبيرة في الوفيات الناتجة عن سرطان الرئة. ولكن بعد أن نشرنا دراستنا واجهتنا عقبة غير متوقعة رغم أنها تحولت لاحقاً إلى مصدر آخر من مصادر حسن حظنا.

إن معظم الناس، باستثناء السير هارولد هيمسورث الأمين العام لمجلس البحوث الطبية البريطاني، لم يصدّقوا نتائج بحثنا، مما دفعنا إلى التفكير في طريقة مُستقلّة لإثبات صحة ما توصلنا إليه من نتائج، وبالتالي فكرنا في استخدام أنماط التدخين لدى الناس وسيلةً لقياس احتمالات موتهم بسرطان الرئة. واخترنا الأطباء البريطانيين لهذه الدراسة، وطلبنا منهم تزويدنا بالبيانات الخاصة بهم لتحليلها أولاً بأول حيث إن متابعتهم أسهل من متابعة الآخرين. وقد وافق حوالي 34 ألفاً من الأطباء الذكور على التعاون معنا في هذه الدراسة، وأثبتنا خلال خمسة سنوات فقط صحة توقعاتنا.

وعلى غير المتوقع اكتشفنا، أيضاً، أننا كلما تابعنا أولئك الأطباء لفترة أطول تكشّف لنا المزيد من الأخطار الناتجة عن التدخين.

ومرة أخرى - يا صاحب السمو - ساعدنا الحظ، فمن خلال اختيارنا للأطباء لهذه الدراسة وبعد مشاهدتهم لما حدث لزملائهم أقلع عدد كبير منهم عن التدخين، وقد ساعدنا ذلك وبسرعة من اكتشاف أن التوقف عن التدخين يقلل مخاطر الإصابة بالأمراض القاتلة، وأن المخاطر تنخفض أكثر فأكثر كلما تم الإقلاع عن التدخين في وقت مبكر. علاوة على ذلك قام أولئك الأطباء بنقل المعلومات إلى مرضاهم. وعندما اقتنعت وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وتلفزيون بصحة نتائجنا ضمّوا أصواتهم إلينا وبدأ أفراد الجمهور يقلعون عن التدخين بأعداد متزايدة مما أدى إلى انخفاض نسبة الوفيات المبكرة في المملكة المتحدة، وأمكن تلافي الكثير من تلك الوفيات. وفي عام 1970م قُدّر أن 116 ألف حالة وفاة تحدث بسبب التدخين في الذكور أي حوالي 35 % وقد تناقص ذلك العدد في عام 2000م إلى 63 ألف حالة وفاة، أي ما يعادل أقل من 25 %.

لكن صناعة التبغ، فيما يبدو، لم تكترث بما تسبّبه من أضرار للناس. وفي الوقت الذي انخفضت فيه مبيعاتها في المملكة المتحدة والعديد من الدول المتقدمة في أوروبا وأمريكا الشمالية وأستراليا، وجهت أنظارها نحو العالم العربي، وآسيا، وأفريقيا، وأمريكا الجنوبية. إن منحنا جائزة الملك فيصل لبحوثنا عن مخاطر التدخين سيكون له - في تقديري - أثر بعيد في عرقلة جهود شركات التبغ الرامية إلى نشر هذه الآفة، كما أن مكانة هذه الجائزة سوف تدفع كثيراً من الناس للاهتمام الجاد بما توصلنا إليه من نتائج وما أثبتته أيضاً دراسات الآخرين حول هذا الموضوع.

وسوف يساعد منح الجائزة الكثيرين حول العالم في فهم الأخطار الناتجة عن تدخين التبغ وفي مقاومة الضغوط التي تمارسها عليهم شركات التبغ لدفعهم لشراء السجائر دونما إدراك لضخامة مخاطرها.

أما بالنسبة لي شخصياً فربما يكون أمراً افتراضياً أن يتوقع مني أحد أن أبدأ وأنا في هذه السن في بحوث جديدة يستغرق إجراؤها عدة سنوات. لكن ما يمكنني عمله هو مساعدة الأطباء الشباب الراغبين في مواصلة بحوثهم في الطب الوقائي للحصول على دعم أكيد من كلية جرين التي مازلت مرتبطاً بها في جامعة اوكسفورد. إن تلك الكلية مخصصة لطلاب الدراسات العليا في الطب وتتلخص رسالتها في توفير الدعم الأكاديمي والإداري والاجتماعي للزملاء، والطلاب، وأعضاء منتدى الكلية، وزوارها الأكاديميين العاملين في الحقل الصحي. وقد تأسست هذه الكلية منذ 25 عاماً وهي تتعرض سنوياً للضغوط من أجل قبول أعداد أكبر وأكبر من طلاب الدراسات العليا وتوفير الإمكانات اللازمة لهم. ولتحقيق ذلك تسعى الكلية لبناء منشئات جديدة. وإذا كان لي أن أساعد في ذلك من خلال المنحة المالية للجائزة فإنني أفكر في تسمية إحدى قاعات ذلك المبنى باسم الملك فيصل، وفي إنشاء منحة دراسية للمساهمة في تكلفة الدراسة لأحد الطلاب الراغبين في إجراء بحوث في الطب الوقائي خصوصاً من الدول العربية أو الإسلامية. لقد حدثت - يا صاحب السمو - تطورات عظيمة في الطب خلال مسيرة حياتي وأمكن علاج عدد كبير من الأمراض التي كانت تُسبّب العجز والوفاة المبكرة. ورغم ذلك تظل الوقاية خير من العلاج. وإذا كان في مقدوري أن أساعد مزيداً من الأطباء في التخصص في الطب الوقائي فإن ذلك سيزيد ما يغمرني من سعادة وفخر بهذه الجائزة.